أطياف الربيع ...

[مهداة إلى جماعة الشعر من شباب كلية الآداب]

للأستاذ محمود الخفيف

هَاتِ يَا زَامِرُ أَلْحَانَ الرَّبِيعِ ... رَاقَ مِزْمَارُكَ يَا رَاعِي القَطِيعِ
غَنِّ مَا هَزَّكَ فِي هَذَا الضُّحَى ... مِنْ رُؤًى شَتَّى وَمِنْ سِحْرٍ جَمِيعِ
غَنِّ يَا هَيْمَانُ أَلْحَانَ الهَوَى ... وَالصِّبَا الجَذْلَانَ يَلْهُو بِالمُنَى
لَحِّنَ أُرْغُولَكَ نَشْوَانَ الصَّدَى
فِي الضِّفَافِ الخُضْرِ وَالحَقْلِ المَرِيعِ

الفَرَاشَاتُ بِهَاتِيكَ الضِّفَافِ ... دَائِبَاتٌ بَيْنَ وَثْبٍ وَطَوَافِ
فَرِحَاتٌ بِالزَّمَانِ المُونِقِ ... بَعْدَ أَيَّامٍ كَئِيبَاتٍ عِجَافِ
هَائِمَاتٌ فِي ضُحَاهُ لِلشُّرُقِ ... لَامِعَاتٌ كُلُّ غُصْنٍ مُورِقِ
فَرْحَةٌ أَعْيَا بَيَانِي وَصْفُهَا
وَأَنَا النَّاسِجُ مَوْشِيَّ القَوَافِي !

قَصَّ سَاعَاتِكَ رَفَّافَ الجَنَاحِ ... دَائِبَ التَّطْوَافِ فِي كُلِّ النَّوَاحِي
عَانِقِ الزَّهْرَ هُنَا أَوْ هَاهُنَا ... أَيُّهَا العَاشِقُ أَفْوَافَ الصَّبَاحِ
لَكَ مَاءٌ سَلْسَبِيلٌ وَجَنًى ... أَيْنَمَا مِلْتَ وَظِلٌّ وَسَنَى
لَيْتَ يَا جَذْلَانُ لِي بَعْضَ الذِي
يَتَوَافَى لَكَ مِن هَذَا المِرَاحِ !

الرَّبِيعُ الغَضُّ نَشْوَانُ الشَّبَابِ ... مَرِحٌ يَطْفُرُ فِي كُلِّ الرِّحَابِ
أَيْنَمَا دُرْتُ بِعَيْنَيَّ أَرَى ... لَمَحَاتٍ مِنْ سَجَايَاهُ العِذَابِ
كُلَّمَا يَمَّمْتُ رُكْنًا مُزْهِرًا ... لَاحَ لِي تَالِيهِ أَحْلَى مَنْظَرَا !
كُلُّ حُسْنٍ مِلْءَ سَمْعِي هَاتِفٌ
خُلِقَ الحُسْنُ لِقَنْصٍ وَانْتِهَابِ

أَيُّ سِرٍّ شَاعَ فِي هَذَا النَّمَاءِ ... فَانْجَلَى لِلْعَيْنِ مَرْمُوقَ الرُّوَاءِ
فَاضَ وَاسْتَعْلَنَ فِي آثَارِهِ ... وَهْوَ صِنْوُ الرُّوحِ فِي مَنْفَى الخَفَاءِ
كَمْ أَجَلْتُ الطَّرْفَ فِي أَزْهَارِهِ ... وَالجَدِيدِ الغَضِّ مِنْ نُوَّارِهِ
فِي زَمَانٍ زَيَّنَتْ أَفْوَافُهُ
كُلَّ رَوْضٍ وَكَسَى كُلَّ فَضَاءِ

رَفَّ قَلْبِي لِمَجَالِيهِ الحِسَانِ ... وَلِأَطْيَافٍ بِهِ زِدْنَ افْتِتَانِي
لَمَحَتْ فِي كُلِّ شَيْءٍ نَشْوَةٌ ... مَلَكَتْ حِسِّي وَقَرَّتْ فِي جَنَانِي
وَمَشَتْ مِلْءَ كِيَانِي هِزَّةٌ ... أَنِسَتْ رُوحِي بِهَا صُوفِيَّةٌ
لَمْ تَكُنْ لِلطَّيْنِ يَوْمًا تَنْتَمِي
حَرَّكَتْ قَلْبِي وَإِنْ عَيَّ لِسَانِي !

كَمْ أَرَى فِي البُرْعُمِ الغَضِّ الوَلِيدِ ... مِنْ طُيُوفٍ ضَاقَ عَنْهُنَّ قَصِيدِي
كَمْ تَرَى رُوحِيَ فِي مَوْلِدِهِ ... مِنْ مَعَانِي البَعْثِ وَالخَلْقِ الجَدِيدِ
مَوْلِدٌ مَا شَذَّ عَنْ مَوْعِدِهِ ... حَدَّثَ المُبْصِرَ عَنْ مُوجِدِهِ
مَوْلِدٌ مَا مَرَّ عَجْلَانَ بِهِ
غَيْرُ لَاهٍ مُظْلِمِ الحِسِّ بَلِيدِ !

غِبْطَةٌ تَزْهَدُ نَفْسِي فِي سِوَاهَا ... فَطَنَ القَلْبُ إِلَيْهَا فَاحْتَوَاهَا
لَيْتَ مَنْ يَقْضِي غُرُورًا عُمْرَهُ ... نَسِيَ الأَوْهَامَ يَوْمًا فَاجْتَلَاهَا
لَيْتَهُ فِي العَيْشِ يَنْسَى زُورَهُ ... فَيَرَى الحُسْنَ وَيَهْوَى سِحْرَهُ
لَيْتَ هَذَا الحَيَّ يَنْسَى جَشَعًا
يُوبِقُ الرُّوحَ وَيُنْسِيهَا هُدَاهَا !

يَا جَمَالَ الهَاجِ فِي الكَوْنِ هُيَامِي ... أَجْتَلِي دُنْيَاهُ عَامًا بَعْدَ عَامِ
نَشْوَةٌ كَمْ أَلْهَمَتْنِي الفَرَحَا ... يَوْمَ أَتْرَعْتُ بِهَا كَأْسَ غَرَامِي
أَتُرَى يَعْلَمُ إِلْفٌ نَزَحَا ... أَنَّنِي اليَوْمَ حَطَمْتُ القَدَحَا ؟
وَيْكَ يَا قَلْبِي ! أَتَبْكِي كُلَّمَا
جَدَّدَ العَيْشُ دَوَاعِي الابْتِسَامِ ؟

إِغْنَمِ المُتْعَةَ مِنْ هَذَا الجَمَالِ ... وَانْسَ آلَامَكَ فِي هَذِي المَجَالِي
أَيُّهَا القَلْبُ إِلَامَ المُشْتَكَى ... إِبْتَهِجْ فَالعَيْشُ عَجْلَانُ اللَّيَالِي
إِخْتَلِسْ عُمْرَ زَمَانٍ ضَحِكَا ... وَانْهَبِ الحُسْنَ إِذَا الحُسْنُ زَكَا
هَذِهِ الزَّهْرَةُ تَزْكُو فِي الضُّحَى
وَالدُّجَى يَمْشِي عَلَيْهَا بِالزَّوَالِ !

الخفيف